منتدى العلاقات العربية والدولية

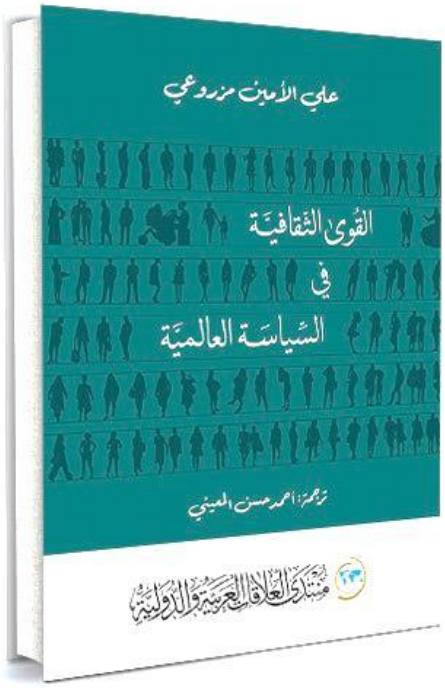

مراجعة كتاب

القوى الثقافية في السياسة العالمية

إيمان عمارة

مدرس في كلية التربية بمصر

٢٠١٧/٩/١٧

تأليف: علي الأمين مزروعي

ترجمة: أحمد حسن المعيني

الناشر: منتدى العلاقات العربية والدولية

سنة النشر: ٢٠١٧

عدد الصفحات: ٤٣٢

سعر الكتاب: ٥٠ ريالاً قطريًّا– ١٤ دولارًا

مكان البيع: مبنى منتدى العلاقات العربية والدولية (رقم ٢٨) الحي الثقافي – كتارا/ مكتبة جرير/ فروع الشبكة العربية للأبحاث والنشر بجميع الدول.

ينهضُ هذا الكتاب بدراسةِ تأثير القوى الثّقافية في السياسة العالمية. وتنبعُ أهميته من أهمية موضوعه فضلاً عن أهميّة مؤلفه، البروفيسور الراحل علي الأمين مزروعي، ذي الأصل الكيني، الذي رأس عددًا من أقسام العلوم السياسية في أكثر من جامعة أمريكية، وترك مؤلفات عديدة في الدراسات السياسية والاجتماعية الخاصة بإفريقيا، والإسلام، وحقبة ما بعد الاستعمار وغير ذلك. لقد ألف ما يربو على أربعين كتاباً وعددًا هائلاً من المقالات التي يميزها الكياسة، والخيال، والوضوح. فهو بكل المقاييس يجسد عملاقًا من المعرفة. فليس للمزروعي نظير في إفريقيا من حيث المجالات التي ولجها بموهبته غير المألوفة، وإسهاماته في المناظرات السياسية والأكاديمية[i].

تتشكل أطروحة الكتاب من مقالات عدة كتبها مزروعي حول دور الثقافة في السياسة العالمية. ويتكون الكتاب من مقدمة، وثلاثة أجزاء تحوي ١٤ فصلاً وخاتمة. استهله المؤلف بالحديث عن ثقافة القوة وقوة الثقافة بين الشرق والغرب، وعن الوظائف السبع للثقافة، والأساسيات الثقافية للقوة.

الجزء الأول: الاجتياح الثقافي للتاريخ

يهدف المؤلف إلى التأكيد على أن طبقات العالم تتحدد ثقافيًّا لا اقتصاديًّا، وأن لثقافة السياسة نزعة كونية إلى الثنائية، وأن المجتمعات تختلف فيما بينها من حيث تصورها للثنائية. ففي هذا الجزء من الكتاب تناول المؤلف **الحدود المتغيرة للثقافة العالمية**، والهيمنة من الساميين إلى الأنجلوسكسونيين؛ فتتبع التغير والتحرك التاريخي والسياسي والديني للثقافة وتأصيلهم للثنائية العالمية من شرق وغرب، ودول متقدمة ودول نامية، وغير ذلك.

هناك عاملان يشكلان الإطار الفكري الثنائي في النظام العالمي وهما: ثقافة السياسة، وتأثير مفهوم التوحيد على الثقافة العالمية. وهنا قارن المؤلف بين الديانات السماوية الثلاث وعلاقتها بالسياسة والثقافة، موضحًا أنها تراوحت فيما بينها في غرس بذور الثنائية من فضيلة ورذيلة، وجريمة وعقاب، ونحن وهم. إن اليهودية ساهمت في عالم القوانين والأفكار، ولكن تأتي المسيحية في المرتبة الأولى يليها الإسلام ثم اليهودية من حيث التأثير على بنية النظام العالمي، وذلك من خلال أحداث تاريخية تكشف أهمية الثقافة في الترتيب الطبقي (الفجوة الرأسية)، والاستقطاب الدولي (الفجوة الأفقية).

في إطار العلمانية والتسلسل الهرمي للحضارة، استعرض المؤلف الحقب التي تحولت فيها الثنائية الثقافية من ثنائية الدين إلى ثنائية الحضارة ثم إلى ثنائية التقدم، وكشف كيف تحولت علمنة الولاء للكنيسة إلى علمنة الهوية، ورصد بزوغ نظريات تروج للتدرج العرقي على يد الزعماء الليبراليين والراديكاليين، عندما أكدوا حتمية غزو الدول المتقدمة للدول الضعيفة البربرية لنقلهم من التخلف إلى التقدم.

تتبع المؤلف تاريخيًا نشوء منظمة الأمم المتحدة، وأشار إلى أن وظيفتها الجوهرية هي شرعنة الوضع القائم وتمكين من يملك وتهدئة من لا يملك. فقد تحول أمير السلام إلى مشارك في الصراعات الدولية بدعوى السلام. ثم عاد وعرج مرة أخرى على ثنائية: التوحيد والتطور، فالثنائية بدأت بالدين وانتهت إلى ثنائية التقدم، حيث تغيرت فكرة التقوى في الاهتمام بالصلاة إلى العمل والإنتاج مع الحفاظ على المال وعدم الإسراف في إنفاقه. ثم ازداد التركيز على تحصيل العلم وتغيرت الثنائية إلى العارفين والأميين تقانيًا، وغاب الجانب الروحي من المشهد. أما التحديات التي تواجه الغرب فتتمثل في الإسلام، والشيوعية، أو التحدي بين المقدس والعلماني، وبين التوحيدي والإلحادي. وبهذا فإن النزعة نحو الثنائية في تحديد الهوية الثقافية في النظام العالمي في تغير، في ظل تراجع الدين وزيادة علمانية الحضارة.

الهيمنة من الساميين إلى الأنجلوسكسونيين

ثمة عناصر ثلاثة دفعت إلى التوسع الثقافي وهي: الدين (الرب)، والمال (الذهب)، والشهرة (المجد). سلكت تلك العوامل مسارات ثلاثة لتحقيق أهدافها: مسار اقتصادي وآخر عسكري وثالث تواصلي، وظهر مسعى الدين أولاً تلاه مسعى الذهب -مع صعود الرأسمالية الغربية -ثم مسعى المجد، حيث كانت الحركات الدينية أكبر ناقل للقيم والأعراف؛ فظهر التأثير اليهودي على الثقافة العالمية عبر الديانتين اليهودية والمسيحية من خلال العهدين القديم والحديث، فالعرب والساميون قد غيروا العالم عبر التاريخ، وأصبحوا أكبر المصدرين للثقافة في القارات الجنوبية.

أما الإسلام فقد توسع في قرنه الأول أكثر من أية ديانة أخرى، وظل ناجحًا في موطنه نجاحه في خارجه، بعكس المسيحية والبوذية اللتين لم تنجحا إلا على أرضهما. هنا رصد المؤلف المثاقفة التي أحدثها الدين الإسلامي من تعريب وأسلمة انتهت ببعض الدول إلى عربية مسلمة، وببعضها إلى مسلمة فقط، وكيف

حدث ذلك في قرون قليلة في صدر الإسلام الأول؛ حتى انتشر خارج موطنه. كما رصد وصوله ذروته إلى أوروبا وفرنسا وكيف استطاعت المسيحية منافسته من جديد بسبب التشظي السياسي والطائفية المقيتة. بيد أن الإسلام ظل متفوقًا فكريًا على أوروبا التي كانت ترضخ تحت عصور الظلام في شتى العلوم، وبرزت في ذلك الوقت الأساسات العلمية للتقانة الحديثة من إنتاج وتدمير واتصال.

إن الساميين قد أسهموا في ترسيخ فكرة الحكومة المركزية في الثقافة العالمية، فقد أثر التوحيد السامي في ظهور السيادة المطلقة، وفي الوقت نفسه دفع "سفر التكوين" إلى مفاهيم الأخوة المشتركة التي تتقاطع مع الدولة ذات السيادة. فالساميون كانوا القابلة التي أخرجت مفهوم السيادة. لكنْ تدهور حال الإسلام، وانتقل مشعل العلم والتقانة إلى أوروبا التي كانت قد استيقظت لتوها، والتي أسهمت ثلاث حركات في نشوء نهضتها الحديثة: النهضة، والإصلاح الديني، والتنوير. وكانت هذه الحركات الثلاث جزءًا من أصول الدولة ذات السيادة. فقد تخلص الإنسان الأوروبي من الشفاعة الكهنوتية في علاقة الإنسان بربه، ونشأ اتجاه يرجح كفة الذهب على حساب كفة الرب. وكانت هناك دعوة ضمنية -بفعل الحركات المختلفة- تدعو إلى الادخار وإعادة الاستثمار (اجن المال، ولكن لا تنفقه)، واندمجت راية الذهب مع راية الرب عندما ظهر من يأصّل لفكرة مفادها أن الرخاء علامة رضا الرب.

لم تكن تقانة الإنتاج وحدها التي حفزها الإصلاح الديني والثورة العلمية في أوروبا، بل كذلك تقانة الاتصالات. وبرعت الرأسمالية الغربية في قدرتها على الإنتاج، كما برعت الإمبريالية في أذرع اتصالاتها، والتحمت الاثنتان في تاريخ الغرب. ساهمت ثورة الاتصالات في الإطاحة بالعنصرية، وأصبح الارتباط بين الاتصالات والعنصرية أكثر إيجابية. وقد أورد الكاتب أمثلة لهذا الارتباط منذ محاولة الأوروبيين الوصول إلى آسيا عن طريق الدوران حول إفريقيا وما تلا ذلك من اكتشاف أمريكا وتصدير الأفارقة قسريًا إليها. كذلك الاتصالات والعنصرية عندما تعرفت الشعوب إلى بعضها، وبدأت ثوراتها ضد الظلم. وما كانت الحرب العالمية الثانية وتبعاتها إلا ثورة في الاتصالات أدت إلى كسر "إرادة العظمة الإمبريالية"، وتحرر شعوب عانت من الاستعمار والعنصرية.

يتحدث المؤلف عن صراع بريطانيا للهيمنة، كيف انتهت بنهاية القرن العشرين، وكيف قامت في الوقت ذاته الهيمنة الأمريكية. وكيف أن الأنجلوسكسونيين استخدموا القوة العسكرية والدبلوماسية والإمبريالية في لغتهم السياسية مع العالم. فهم أول من أنتج الأسلحة النووية واستخدمها في هيروشيما ونجازاكي، وانتقل مشعل الهيمنة الأنجلوسكسونية البريطانية إلى الأنجلوسكسونية الأمريكية. وفي حين أنشأ البريطانيون أكبر إمبراطورية سياسية في تاريخ البشرية، أنشأ الأمريكان أكبر امبراطورية اقتصادية على الإطلاق. ولم تعد الدولة المتمثلة في الأنجلوسكسونيين مجرد وسيلة تواصل، بل كانت مقصلة لإعدام الحوار.

كانت الثورتان الأمريكية والإنجليزية نخبويتين، في حين كانت الثورة الفرنسية متمركزة على الجماهير، وقد تزعّم الأنجلوسكسونيون تثبيت الرأسمالية عالميًا، وهنا أورد المؤلف عددًا من الحركات والنظريات

للمفكرين الذين ثبتوا دعائم الرأسمالية، وعرج على نشوء اقتصاد عالمي رأسمالي عبر الدور الذي لعبته إنجلترا.

يرى مزروعي أن الأمم الناطقة بالإنجليزية نجحت في تصدير الرأسمالية إلى العالم أكثر من نجاحها في تصدير الديمقراطية. بيد أن اليابان برزت عملاقًا صناعيًّا ثانيًا في العالم الرأسمالي. وهنا طرح تساؤلاً حول ما إذا كانت اليابان قادرة على إزاحة الرأسمالية الأنجلوسكسونية من المشهد؟ حيث أشار أن الأنجلوسكسونيين أداروا مكبرات الصوت لإيصال رسالتهم الرأسمالية إلى بقية العالم، في حين عطلوا سمعهم وصموا آذانهم عن النداء العالمي للعدالة الاجتماعية.

وفي حديثه عن علاقة الدولة بالكنيسة للدولتين الأنجلوسكسونيين، فصل المؤلف لنموذج الدمج البريطاني والفصل الأمريكي والذي يلقى قبولاً عالميًّا. وأشار إلى أن الأنجلوسكسونيين نجحوا في نشر لغتهم عالميًّا أكثر من نجاحهم في نشر دينهم. كما أرخ للأحداث التي جعلت من أمريكا -لا إنجلترا- الراعي لإسرائيل في الشرق الأوسط، فقد استبدل العرب أسيادهم العثمانيين بالأوروبيين المسيحيين وأحيانًا الأنجلو-أمريكان. وألمح للدور الأنجلوسكسوني في الهند وللدور الإيراني في قمع الأنجلوسكسونيين، كما فصل الدور المتناقض الذي يلعبه الأنجلوسكسونيون من إلغاء رق السود وفي الوقت ذاته التوسع في احتلال أراضيهم، وأوضح مدى ارتباط اللغة الإنجليزية بالعنصرية ووسائلها في ذلك من ترفيهية، إلى اقتصادية، إلى سياسية.

يذهب مزروعي إلى أن أكبر تحديين يواجهان الأنجلوسكسونية هما الإسلام والماركسية، ويؤكد أنه حين تنجح حركات التحرر في الاستيلاء على الدولة يتحول قادتها إلى نظام الدولة نفسه. وبالتالي يواجه خطر أن تستولي الدولة هي عليه، فالثقافات والأعراق المحرومة حاولت أن تستولي على الدولة ولكن الدولة استولت عليها. إن الدولة المطلقة مفسدة مطلقة، والدولة العسكرية هي المسخرة للحفاظ على نفسها عسكريًّا، وإسرائيل هي مثال للسلطة المفسدة في الدولة العسكرية. وهنا يبرز تاريخ الحركة الصهيونية التي بحثت عن أرض بلا شعب لشعب بلا أرض وما نتج عنه من شتات الفلسطينيين.

اختتم المؤلف هذا الجزء الأول من الكتاب بحديث عن المطالب النسوية لحكم الدولة، مؤكدًا أن المرأة لا تطلب أكثر من المساواة، ولا تطمح في منازعة الرجل الحكم وإقصائه منه، مشيرًا إلى أن مرتكبي الجرائم والانقلابات العسكرية، وأساس جميع القوى والأجهزة الأمنية كيانات ذكورية. وقد أكد أن الساميين الأنجلوسكسونيين شهدوا قيادات نسائية في دولهم، رغم أنهم هم من عزز من الدور الأبوي للنظام، وكانت هذه القيادات أقل ميلاً إلى العسكرة. وعندما يتعلق الأمر بالرأسمالية تكون المرأة سابقة للرجل، لكن حين يجري تدويل الاقتصاديات يبرز الرجل في المقدمة.

الجزء الثاني: الأيديولوجيا والقوة

يتكون هذا الجزء من ثمانية فصول، أولها فصل بعنوان «**محمد وماركس وقوى السوق**». يبني المؤلف هذا الفصل على سبع أطروحات. فيحاول إثبات أن الاقتصاد الإسلامي علم مبني على قواعد الاستهلاك لا على قوانين الإنتاج. ويرى أن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد مختلط من الاشتراكية والرأسمالية. ويتطرق إلى أحكام المواريث التي فرضها الله عز وجل ويرى أنها تقاوم الإقطاع وتفضي إلى تقسيم الأرض إلى أجزاء أصغر فأصغر. كما يرى أن الاستهلاك أمر جامع أكثر من الإنتاج، وأن شرائح المجتمع المستهلكة أكبر من المنتجة. ويتنبأ بتقلص الطبقة العاملة التي ستبدو يومًا ما من مخلفات التاريخ.

يثير مزروعي تساؤلاً: هل ثمة نمط إسلامي للإنتاج؟ ويجادل على نمطية قواعد الاستهلاك التي يقوم عليها الدين الإسلامي. فهو يتحدث عن النمط الآسيوي للإنتاج، ويشير إلى تحريم الإسلام الملكية المطلقة؛ حيث يرى أن إخراج الزكاة من منتوج الأرض علامة على ذلك. كما يعرج على المتوالية الخطية الماركسية التي لا بد أن يمر بها الشعوب تباعًا. ويرى أن التقسيم بين الشرق والغرب هو أكثر التناقضات جوهرية في الماركسية، وأن الحضارة الإسلامية كانت لها القدرة على إنتاج حضارة اقتصادية - ثقافية. وفي القرن العشرين حدثت نقلة جوهرية للعرب المسلمين في آسيا وهي تحول اقتصادهم من اقتصاد الجمل والتمر إلى اقتصاد النفط.

بالرغم من أن عنوان هذا الفصل يبدو إشكاليًا فإن هناك سمات يتميز بها المؤلف، وكما يرى النقاد فإن إحدى سماته العبقرية منذ بداياته المهنية كانت قدرته الجدلية والتي ربما تعود لعقليته المستقلة وشخصيته الشجاعة. وإحدى السمات التي تميز كتاباته هي جمعه بين الأفكار المختلفة والمسلمات المختلفة، كما أن له القدرة على مناقشة القضايا المعقدة بلغة أنيقة وسهلة المنال لجمهوره الضخم المتنوع[ii].

الفصل الرابع من الكتاب بعنوان «**الخيانة الثقافية والرقابة بين عالمين**»، وهو عن سلمان رشدي وروايته **آيات شيطانية**، ورصدِ النزاع بين الشرق والغرب، وردة فعليهما المتناقضة حولها وحول إمكانية أن تكون مشكلة تضارب بين الثقافات. وفي هذا الإطار تحدث مزروعي عن مشاعره المتناقضة حولها بين كونه مسلمًا يرفضها، وبين كونه كاتبًا قد عانى من المنع والرقابة في بلده وقارته السوداء وفي أجزاء من العالم الإسلامي. وقارن بين مفهوم الخيانة الغربي -خيانة الدولة، ومفهوم المسلمين للخيانة بأنها خيانة الأمة أو خيانة الدين، وهنا سرد الكاتب أحداثًا تاريخية تم فيها إعدام من اعتبرتهم دولهم خائنين طبقًا لقوانينهم وأعرافهم.

ثمة عنوان لافت في هذا الفصل هو: القرآن بوصفه أدبًا عالميًا، يتناول مقارنة بين محمد -صلى الله عليه وسلم- وشكسبير، من حيث القرآن الذي جاء به النبي - والذي عبر عنه المؤلف بأنه كلام الله - والأدب الذي أنتجه شكسبير. ويسرد الأخطاء الفادحة التي وقع فيها سلمان رشدي من قول الإفك على آيات الله ووصفها بآيات من الشيطان، والسخرية من أحكامه، والتشكيك في النبي، وفي كتاب الوحي، إلى ذلك من المخالفات التي جعلت إيران وغيرها يطالبون بإعدامه. هنا إشارة إلى مسألة أخرى جعلت الغرب لم يجرم ما أتى به سلمان رشدي، وهي القذف والتشهير بالأموات كما ورد في الرواية، والمقصود: زوجات النبي الطاهرات.

وبالرغم من أن دولة مثل بريطانيا تفرض رقابة على نشر بعض الكتب التي لا تتوافق مع سياستها، فإنها في الوقت ذاته تدافع عن حياة سلمان رشدي. ولم يسلم مزروعي نفسه من فرض الرقابة والمنع في بريطانيا وأمريكا وغيرهما لأعماله في مسلسل الأفارقة.

يشير المؤلف أيضًا إلى أن الحكم الذي أصدره آية الله الخميني بالموت على سلمان رشدي يقع خارج المعايير الغربية للسلوك المشروع خاصة أنه كان حكمًا علنيًا. ظلت الدول الغربية التي أدانت إرهاب الخميني المعلن صامتة إزاء إرهابهم الفعلي ضد من يضرون بمصلحتهم. ويعود المؤلف مرة أخرى ليسرد للقارئ أحداثًا غربية أمريكية وفرنسية قام فيها الغرب بمحاولات اغتيال أناس ظنوا أنهم مضرون بمصلحتهم. ويعرج على بعض الأحداث الدامية التي وقعت في شبه القارة الهندية موطن سلمان رشدي بسبب روايته تلك.

يرى بول اديجي أن هذا الفصل الرابع الخاص بسلمان رشدي فصل شائق، حيث إن مزروعي أوضح فيه بكل صدق مشكلته في تعاطيه مع هذه القضية، من حيث كونه مسلمًا ومن حيث إنه يؤمن بالانفتاح المجتمعي. وهذا لم يمنعه من إدانة كتاب سلمان رشدي وإظهار تعاطفه مع المجتمع المسلم. وقد استغل هذه الفرصة للهجوم على المجتمع الغربي خاصة بريطانيا، والولايات المتحدة، وفرنسا لإدانتهم للخميني وعرضهم المساعدة لحماية رشدي. وبالنسبة لمزروعي فإن مثل هذا النفاق الغربي يظهر وجهات النظر الأثنية بخصوص الأيديولوجيا والدين والسياسية، ولكي نكون منصفين فإن مزروعي لم يكن ضد منح هذه البلدان الحماية لسلمان رشدي نفسه، ولكنه كان قلقًا بشأن الدعم الذي منحته هذه الدول لرشدي وكتابه[iii].

يستعرض المؤلف في **الفصل الخامس** الأسباب التي جعلت العالم الرأسمالي أكثر ارتباطًا من الناحية الاقتصادية بإفريقيا من ارتباط المعسكر السوفيتي بها، ويلفت الانتباه إلى تجربة غانا، وتنزانيا، وزائير، وزامبيا، وبيرو مع صندوق النقد الدولي. ويتحول إلى سرد التجربة ذاتها ولكن في الجانب الغربي فيسرد تجربة كل من أمريكا اللاتينية، والمكسيك، والأرجنتين. ثم يتطرق إلى الأسواق العالمية وطبيعة السوق الاشتراكية التي تكمن عبقريتها في التوزيع، وإلى الرأسمالية التي جسدت عبقرية الإنتاج، ثم إلى المعونات الخارجية، ومنها إلى العمل الخيري الذي كان بمنزلة كفارة للغرب عن نفسه أمام الضمير المسيحي. ويؤكد أن معظم علل الاقتصادات الإفريقية تعزى إلى إرث الإمبريالية الغربية، وأن مشكلات العالم الثالث الخاصة بنظام التجارة وتراكم الديون هي من مسببات الاستعمار، حيث تعتبر القوتان العظميان دول العالم الثالث أسواقًا جيدة لبيع أسلحتها التقليدية، فعدد ضحايا الإرهاب أقل بكثير من ضحايا الحروب.

ينطلق **الفصل السادس** من خلال أطروحتين: أولاهما أن الأمريكان يمتلكون موهبة باهرة في التواصل مع الآخرين، والثانية أنهم مستمعون سيئون لذلك تأبى أمريكا أن تتأنسن أخلاقيًا. فأمريكا تصوب مكبرات الصوت لديها نحو الشرق ونحو العرب وتصم آذانها عن أصوات الآخرين. وتخاطب الآخر بإحدى لغات ست: الأولى لغة الإنتاج، والثانية لغة المستهلك، والثالثة لغة العملة، والرابعة لغة قوة المهارة، والخامسة لغة السلاح، والسادسة هي اللغة الإنجليزية. وهنا يبرهن المؤلف بالأدلة المختلفة أن أمريكا حققت نجاحًا في نشر

الرأسمالية أكثر منها في نشر الديمقراطية. ويشير إلى أن نشر أسلوب الحياة الأمريكي كان أكثر فاعلية ولكن أقل قصدية.

كانت النزعة السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية على المدى الطويل تميل إلى التسامح الديني، فقد سبقت أوروبا في فصل الدولة والكنيسة، بيد أنها لم تتخل عن عنصر بينها، فلم تقبل بالتساوي بين البيض والسود- حرية الزنجي لكن عدم التساوي معه. وهنا يقارن المؤلف بين موقف أمريكا من ليبيريا الإفريقية التي ولدت من آثار العبودية فكانت استيطان بعض الناجين من تجارة الرقيق عبر المحيط الأطلنطي، وإسرائيل التي ولدت من آثار محرقة نازية فكانت إعادة استيطان للناجين من أفران الغاز والاضطهاد الأوروبي؛ فيجد تناقضًا واضحًا في موقفها، حيث لا يأبه الضمير الأمريكي بليبيريا إلا على مضض.

إن الماركسية والإسلام حققتا نجاحًا في منع أمركة البشرية أكثر مما حققتا في أنسنة أمريكا؛ وذلك لأن أمريكا ليبرالية في الجانب الديني، ولكنها متعصبة في الجانب العرقي. وهذا أثر بدوره على تعامل أمريكا مع الماركسية والإسلام بوصفهما أكبر تحديين لها. فأمريكا تنظر إلى الماركسية على أنها فجوة بين الشرق والغرب تنطوي على علاقات بين البيض والبيض، في حين أن الإسلام مواجهة بين الشمال والجنوب، بين البيض وغير البيض.

يولي المؤلف في **الفصل السابع** اهتمامًا خاصًّا بدراسات السود، فيبني فرضية -مستندة على رأي سنجور – مفادها أنه إذا كان الأوروبي يعتقد «أنا أفكر إذًا أنا موجود»، فإن الإفريقي يسلم بأنه «أنا أشعر إذًا أنا موجود». فبالنسبة للإفريقي يوجد العالم من حقيقة قفز انعكاسه على ذاته. ومن خلال فرضية أخرى مبنية على أن العباقرة على مر التاريخ الذين غيروا حياة البشرية كانوا يهودًا، في حين أن السود لم تكن لهم أية إسهامات فكرية، يثير المؤلف تساؤلات عما إذا كان الذكاء العقلي عرقيًّا، وهل اليهود عرق ذكي والسود أقل ذكاءً؟ ولكن تساؤلاته التي دعمها بأمثلة وقصص لم يعط لها جوابًا شافيًا.

ثمة نظرة منتشرة بين شرائح من الأمريكان السود مفادها أن اليهود هم دماغ العرق الأبيض؛ فهم أذكياء إلى حد التلاعب ببقية البيض-فضلاً عن الزنوج، وهم من يتحكمون في الرأي العام في الولايات المتحدة الأمريكية من خلال سيطرتهم على وسائل الإعلام، بفضل امتلاكهم محطات الإذاعة والتلفزيون والمجلات والصحف. وقد شهدت أمريكا أحداثًا تثبت صحة زعم أولئك السود. أيضًا هناك ما يشير إلى معاداة السود للسامية، وإلى نوع من التطرف الأسود ضد اليهود في أمريكا، فقد هاجر يهود وتركوا أعمالهم بسبب ضغوط المتطرفين السود، وبخاصة في نيويورك.

إن غياب الكلمة المكتوبة في معظم الثقافات الإفريقية أدى إلى خلق حس من العزلة، وتسبب بعدم نقل الثقافة من عصر إلى عصر. فقد اعتمد الأفارقة على التقليد الشفوي فقط الذي ينقل المقبول والمحترم ولا

ينقل إبداعات العصر السابق؛ لأنه نقل الانصياع لا نقل الابتداع. أيضًا فإن غياب الرياضيات أدى إلى إعاقة التطور العلمي للسود، فضلاً عن التمييز الشامل ضد السود الذي أعاقهم وقلل من قدراتهم على الابتكار؛ وذلك بسبب تجارة الرقيق التي حرمت إفريقيا من كثير من سكانها. ثم تلا ذلك خضوعها للسيادة الإمبريالية. ويعول المؤلف في هذا السياق على تضافر جهود الحركة الإسلامية السوداء ودراسات السود لتخريج جيل جديد أفضل. وفي هذا السياق يرى حمدي حسن أن علي مزروعي قد تمسك بإطار ثقافي ومعرفي يركز على مسألة الهوية والانتماء الإفريقي، ويؤكد قيم التضامن العربي والإفريقي. في عام ١٩٦٣ صاغ مفهوم «نحن جميعًا أفارقة»، نشر في المجلة الأمريكية لعلم السياسة؛ ليشكل نقطة انطلاقة كبرى في تطوره الفكري. لقد طرح مزروعي مشروعًا ثقافيًّا متعدد الجوانب أطلق عليه اسم "أفرابيا"، ليتجاوز من خلاله أبعاد الصراع كافة مثل الرق وثورة زنجبار، ويخلق حالة اندماجية تعبر عن التفاعل الثقافي العربي - الإفريقي، فالإسلام والعروبة هما الأوسع انتشارًا في الواقع الإفريقي. كما أن تاريخ علاقة إفريقيا بكل من العروبة والإسلام لم يشهد أي تصادم حقيقي مثل خبرة العلاقة مع الغرب الأوروبي[iv].

أما **الفصل الثامن** الذي يعد من أهم فصول الكتاب، فيقدم دراسة لعوامل التشابه والتوافق في المعايير بين الصهيونية وأيديولوجية الفصل العنصري في جنوب إفريقيا. يبدأ بالمفارقة الغريبة، فعام ١٩٤٨ هو العام الذي نشأت فيه إسرائيل، وهو العام ذاته الذي دشن فيه «الحزب الوطني» في جنوب إفريقيا حملته الانتخابية حول سياسة الفصل العنصري بالقانون بين الأعراق والثقافات. هذا التشابه في الأوضاع له جذور في تواؤم أيديولوجي مسبق بين الصهيونية والفصل العنصري.

يقوم كل من مفهوم العنصرية وسياسة الفصل العنصري على التفرقة الكلية وإنشاء مَواطن منفصلة أحادية العرق والثقافة لكل جماعة إثنية. وهنا يورد المؤلف أمثلة لهذا الفصل جرت في الثمانينيات. وفي هذا الإطار تشترك الصهيونية مع الفصل العنصري في التفرقة الكلية أكثر مما تتفق في التفرقة الجزئية، بحيث استعارت كلتاهما النزعات الإقصائية المعادية للتعددية من الفكر القومي الألماني. ومن ذلك النظرة التقليدية إلى المواطنة.

إضافة إلى ذلك، يوجد تقارب يكمن في تأثير الدين على الأيديولوجيات الحاكمة في المجتمعين، ففي حالة إسرائيل كان السند هو العهد القديم لتبرير مزاعم صهيونية، وفي حالة القومية الأفريقانية استشهد بالعهد القديم أيضًا لشرعنة الفصل العرقي وتفوق العرق الأبيض. من هذا التواؤم أيضًا مسألة عقدة الضحية، التي توارثت عبر التاريخ اليهودي ووسعت الشعور بالذنب نحو إسرائيل في الغرب، فتحولت المعارضة للصهيونية بين اليهود إلى كراهية لليهودية، وبين الأغيار إلى معاداة للسامية. وبدلاً من ألمانيا النازية لدى اليهود فلدى القومية الأفريقية عقدة مع البريطانيين جراء الحرب البريطانية. لكن الاختلاف هنا يكمن في أن أيديولوجية الفصل العنصري التي روج لها الأفريقانيون لم يكن لها التأثير ذاته الذي قام به الصهاينة.

ثمة مقارنة أيضًا في هذا السياق بين الإرهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين وممارسات حكومة جنوب إفريقيا إزاء السود. ومن ذلك التنقية الإثنية والإقصاء لغير اليهود ممثلاً في حالة اللجوء الفلسطيني وإزالة العنصر العربي من إسرائيل بسبب القلق على بقاء يهودية الدولة، والكابوس الديموغرافي الفلسطيني. وتشابه حالة العمالة الفلسطينية في إسرائيل مع استيراد جنوب إفريقيا لموظفين من إفريقيا بصورة مؤقتة، ويكمن التشابه هنا في أن إسرائيل وجنوب إفريقيا تريدان الجمع بين مغانم العمالة الأجنبية دون التنازل عن المبدأ العرقي الكامن في تصورهم للبلاد.

استمرت الصهيونية في تعطشها إلى مزيد من الأراضي، وكذلك ارتأى نظام الفصل العنصري في فلسفته التنازل عن الأراضي دون التنازل عن السيطرة غير المباشرة على ما يدور فيها. ولتحقيق التفوق الإثني المختلق، فقد استحدثت إسرائيل وجنوب إفريقيا مقاربتين: زيادة التعداد السكاني للفئة الإثنية المرغوبة، وتقليل عدد السكان من الفئات غير المرغوبة؛ بيد أن الدولتين لم تنجحا في تنقية ذاتهما إثنيًّا، وباتت مسألة تهجير الفلسطينيين أكثر مأساوية من أي جماعة سوداء في جنوب إفريقيا.

هذا الحس المشترك فيما يتعلق بالعزلة هو الذي قاد إلى تفاهم بين إسرائيل وجنوب إفريقيا، بالتعاون في صفقات السلاح وغير ذلك منذ السبعينيات.

في **الفصل التاسع** من الكتاب يقارب المؤلف بين المحتجين الفلسطينيين على الحكم العسكري الإسرائيلي وأداة القمع الإسرائيلية، والمحتجين في بكين على الدكتاتورية وقامعيهم. ثم يعرج على الظواهر المرتبطة بين الاحتجاج والقوة من منظور صيني – سامي، وما يربطهما؛ فحنين اليهود موجه إلى ماضيهم، وحنين الصين كان تمردًا على ماضيها. لكنّ الحربين اللتين اندلعتا عام ١٩٤٨ (حرب العرب مع اليهود، وحرب الشيوعيين مع القوميين في الصين) كانتا صراعًا على التراث اليهودي.

يقدم هذا الفصل بعض المفاهيم حول الشعب المختار، والعرق المختار، والطبقة المختارة والشخصية المختارة، ونظرية «الفئة العمرية المختارة»، حيث كان لفئة الشباب دور بارز تكشف على مدى التاريخ. ومن الأمثلة لهذا الدور ما حدث في إثيوبيا، وإيران، والهند، والسودان، وفلسطين، والصين. وفي تجربة فلسطين والصين بوجه خاص، فإن الشباب اضطلعوا بدور طليعي جوهري، لا بصفتهم شعبًا مختارًا أو عرقًا مختارًا أو طبقة مختارة، وإنما بوصفهم فئة عمرية مختارة كجيل اصطفاه التاريخ.

تعد شعوب العالم ضحايا للمازوخية، وهي وحشية حكوماتهم ضدهم، كما أنها ضحايا للوحشية الأسوأ فظاعة من حكومات العالم الأول وهذه هي السادية. رغم أن الصين سعت إلى الخروج التقاني من العالم الثالث، فإنها عزفت عن الهرولة الأيديولوجية باتجاه العالم الأول. ولكن فجأة عادت المازوخية الجمعية الصينية لتفرض نفسها. أما في حالة إسرائيل فكما استخدم المسيحيون البيض في إفريقيا الكتاب المقدس لشرعنة إمبرياليتهم، فقد استخدم اليهود في فلسطين الكتاب المقدس أيضًا لشرعنة التوسع اليهودي. وما

عانى منه اليهود كضحايا، أصبح الإسرائيليون يمارسونه أكثر فأكثر، بل إن ثمة تيارًا فكريًّا في إسرائيل آخذ بالفعل في التحول إلى الفاشية. وقد أطلق البعض مصطلحًا إسرائيليًّا لهذا الشكل من الفاشية السامية باسم «النازية اليهودية»، فلدى اليهود ما يكفي من الغطرسة والسلطوية والتعصب، وخاصةً أن إسرائيل أصبحت الآلة الحربية الأكبر منذ ألمانيا النازية.

يقدم المؤلف كشف حساب للقمع، مقارنًا بين ما فعله الإسرائيليون تجاه الانتفاضة، وبين ما اتخذه الصينيون تجاه الطلاب المحتجين. وأظهرت المقارنة رجاحة في كفة الصينيين من حيث عدد القتلى، ومتى بدأوا يتخذون أشكالاً لقمعهم، وردود الأفعال في الجيش الصيني نفسه تجاه ما حدث، وأشكالاً أخرى من المقارنة كانت فيها إسرائيل تبدو الأكثر وحشية وعدوانية. لكن ردود الفعل كانت انتقائية، ففي حين فرضت الولايات المتحدة الأمريكية عقوبات عسكرية ضد جيش التحرير الشعبي الصيني، استمرت في تقديم الدعم لجيش الدفاع الإسرائيلي. فلم تحرك الدول ذاتها ساكنًا إزاء الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة رغم أنهما تزامنتا.

يعد **الفصل العاشر «عن الجندر والقوة»** من الفصول المهمة في الكتاب، ويتحدث عن دور المرأة في الثقافات التقليدية، وعن بعض التهديدات التي أثرت على دور المرأة في العالم الثالث وفي إفريقيا على وجه الخصوص، وكيف غير الكساد الكبير في الحرب العالمية الثانية دور المرأة، واضطرت النساء لتأدية دور القوامة الثلاثية على النار والماء والأرض في عزلة تامة. وكذلك كيف كان لحروب التحرير في إفريقيا دور في الإخلال بالنظام الأسري، ثم حروب الثورة المضادة الحدودية. أعقب ذلك دخول التقانة على الزراعة مما همش دور النساء بالنسبة للقوامة على الأرض، فالتغريب الذي مرت به المرأة في العالم الثالث، ثم همش دور المرأة جزئيًّا وأصبح يطغى الرجال في التعاملات مع الأسواق العالمية والتمثيل في مجالس إدارة المؤسسات العابرة للدول وفي منظمة الأوبك، لذلك بدت المرأة أدنى منزلة سياسيًّا.

نشأت ظاهرة خلافة الأنثى لشهادة الذكر في الزعامات الأنثوية رغم اختلاف الخلفيات الثقافية لهؤلاء النساء، حيث تخرج من أنقاض الدم والأسى أنثى تخلف مقتل شخصية ذكورية وتصبح ناشطة سياسية، وهي امرأة من أهل الشهيد. ومن هذه النماذج سيريمافو بندرنايكي - بوذية الديانة- بسريلانكا بعد مقتل زوجها، وإنديرا غاندي- هندوسية الديانة - ابنة رئيس وزراء الهند بعد مقتل أبيها، وبينظير بوتو بباكستان- مسلمة- بعد مقتل أبيها. وخالدة ضياء وشيخة حسينة -مسلمات- ببنجلاديش، وأرملة السياسي الفلبيني- كورازون أكينو المسيحية الديانة. والسبب أن هناك حضارة في ذلك الجزء من آسيا أقدم من المسيحية والإسلام، وهي ثقافة التناسخ أو إعادة التجسد بين الزوج والزوجة. فالمسيحيون اعتبروا الزواج عهدًا حتى الموت في حين اعتبره الهندوس عهدًا إلى ما بعد الموت.

لم تُقدّم إفريقيا امرأة يمكن أن تصبح رئيسة للحكومة، فما تزال الأنثى حارسة للنار والماء والأرض في معظم القرى الإفريقية، لأنها ما زالت تقوم بهذا الدور من توفير الماء للأسرة، وحمل وجمع الحطب، والحفاظ على

خصوبة التربة؛ في حين ظهرت القوة النووية في العالم الثالث في دول كثيرة كانت فيها النساء على رأس المشهد السياسي. إنديرا في الهند كانت رمزًا لتمكين الهند نوويًا ولتولي الأنثى زمام السلطة. وفي إسرائيل واكبت رئاسة جولدا مائير للوزراء مع ازدياد القوة النووية لإسرائيل. وفي أمريكا اللاتينية قدمت الأرجنتين إيزابيل بيرون رئيسة للدولة مع قدرة على التفوق النووي. وأظهرت باكستان قدرتها على تقديم نساء قويات في المشهد السياسي - بينظير بوتو - وامتلاك مؤهلات نووية. إن النساء اللاتي نجحن في تلك المجتمعات هن اللاتي أظهرن صفات ذكورية من شدة وشجاعة وتحمل وقسوة، فقمة الهرم في السلطة هي التي جرت تثنية جنسها، لكن باقي الهرم ما يزال شاهدًا على التفوق الذكوري.

الجزء الثالث: بحثًا عن التغيير

يحتوي الجزء الثالث والأخير من الكتاب على أربعة فصول، يتناول أول هذه الفصول دور الثقافة في الدفع بعلاقات المعونة الأجنبية، وما تنطوي عليه المعونات من محتوى ثقافي. والعناصر الثقافية التي تعيق المعونات، والتبعات الثقافية العامة للمعونات الأجنبية. تمنح المعونة ويختار مستحقوها وفقًا لثلاثة اعتبارات: الإحسان، والتضامن، والمصلحة الخاصة. وتظل المصلحة الخاصة تحمل صفة الدوام. ولكن باعث الإحسان والعمل الخيري له مقوماته في الثقافة الليبرالية؛ فلقد زادت مؤسسات العمل الخيري في المجتمعات الرأسمالية داخل المجتمعات نفسها. أما حين يتعلق الأمر بالمعونة الرسمية من دولة لأخرى فيضعف الاعتبار الخيري بفعل المصلحة الشخصية. إن المعونة الغربية تبلغ مستوى عاليًا من الإحسان والمصلحة الذاتية، لكنها تتأثر تأثرًا يسيرًا بدوافع التضامن الثقافي والأيديولوجي. أما المعونة الاشتراكية فتتضمن عنصرًا قويًا من المصلحة الشخصية ولا تبلغ إلا مستوى يسيرًا من الإحسان.

اشتملت المعونات الثقافية على نسبة من الأيديولوجيا العلمانية أكثر من العقيدة الدينية. وكانت سفارات القوى العظمى مثالاً لذلك، حيث كانت تحتوي على شكل من أشكال الذراع الثقافي لترويج أفكارها وقيمها. ثمة شكل آخر أكثر خفاء من المعونات الثقافية تمثل في التعليم وتوفير المدرسين وعبر الجامعات، مثل بعض الجامعات الإفريقية التي بدأت ككيانات تابعة لمؤسسات غربية. كما أن هناك سياسات ثقافية تطبق في العالم الثالث تؤثر على درجة تقديم المعونات أو قبولها؛ فتغيير السياسية اللغوية في دولة ما في العالم الثالث يؤثر على طبيعة الدعم الفني المقدم لهذه الدولة. كما أن المحتوى الثقافي في المعونات لا يكون دائمًا على نحو مباشر، فربما يكون عنصرًا واحدًا داخل حزمة من المعونات التي هي في أساسها اقتصادية. فهناك قيود تؤثر على تقديم المعونات مثل غياب تقاليد الإحسان، أو غياب أساس التضامن بين المانح والممنوح، أو غياب بنية أساسية لتقييم المشروعات والمقترحات المقدمة.

إن القواعد التي تحكم علاقات المعونة نسبية من ثقافة لأخرى، ومثال ذلك الموقف الأخلاقي البريطاني حينما كانت توجه أصابع الاتهام إلى المجتمعات الضعيفة، وتوبخها على عجزها عن حفظ السلام، ثم

تفرض عليها وجودًا بريطانيًا لتحقيق خير أخلاقي مزعوم. لكن لهذه المعونات عواقب تزيد من تبعية الدولة الممنوحة إلى الدولة المانحة، وتقلل من إمكانية الدولة الأولى في الحفاظ على أصالتها، وفيه تحيز حضري للتنمية لحساب المراكز الحضرية في حين تظل المراكز الريفية تعاني الفقر والعوز. ومن التبعات أيضًا ما يتعلق بالترتيب الطبقي، لذلك فبقاء السلطة في مثل هذه المجتمعات تكون لدى من يتحكمون في وسائل التدمير لا من يملكون وسائل الإنتاج.

أما **الفصل الثاني عشر**، فيناقش الكاتب فيه كيف فرضت القوة الإمبريالية احتكار الاستخدام المشروع للقوة على شعوب إفريقيا وآسيا. كما فرضت اللاعنف بين السكان المحليين بوصفه وسيلة للسيطرة عليهم. ومن رحم هذه السياسية حررت الهند نفسها من الاستعمار البريطاني. لذلك كان النضال الغاندي الهندي نضالاً للدخول في منظومة الدول القومية. وقد ألهم الزعيم الهندوسي غاندي بتجربته اللاعنف دولاً أخرى مناهضة للاستعمار في عدة أرجاء أخرى من النظام الإمبريالي. بيد أن اللاعنف لا يمكن تطبيقه بشكل أبدي، داخلي. وإذا كانت زعامة الهند للعالم الثالث قبل الاستقلال تمثلت في غاندي وأساليبه في التحرر، فإنها تمثلت بعيد الاستقلال في أسلوب نهرو الدبلوماسي بعدم الانحياز. أثر أسلوب نهرو على جمال عبد الناصر الرئيس المصري وعلى عدد كبير من دول إفريقيا وآسيا، خصوصًا الدول التي كانت واقعة تحت الاحتلال البريطاني، حيث رفض نهرو انتماء الهند لأي من المعسكرين العالميين.

أثرت أزمتان على مستقبل عدم الانحياز وهما: الغزو الصيني للهند، والمواجهة الأمريكية- السوفيتية حول كوبا. فقد أضعفت الأزمة الأولى من مصداقية عدم الانحياز بوصفها استراتيجية صالحة في دول العالم الثالث. أما الأزمة الثانية فاستطاعت أن تعيد مصداقية عدم الانحياز في أعقاب المواجهة بين القوتين العظميين. ثم لاح في الأفق شبح التنافس النووي، ونشأت روح جديدة من التنافس العسكري بين الهند والصين، لهذا سعت الهند سعيًا حثيثًا لامتلاك القدرات النووية. وثبت من هذه التجربة وهذا التسلح أن إيمان نهرو بحسن نوايا الدول الاشتراكية كان إيمانًا ساذجًا، ولحق الزعيم بعقيدة نهرو في عدم الانحياز. وجاءت أزمة الصواريخ الكوبية كذلك والتي انتهت بإذلال كوبا وحصارها وتهديدها بحرب نووية قريبا. هذا الوضع أعاد الحياة لاستراتيجية عدم الانحياز. ولحقت الهند بالصين في الإنجاز النووي ففجرت جهازها النووي ظاهريًا للأغراض السلمية.

نشأت ثلاث نزعات في السبعينيات أثرت على العالم الإسلامي وهي: ارتفاع الوعي السياسي في العالم الإسلامي، وظهور القوة النفطية، والقوة النووية الإسلامية. تمثل تسييس الإسلام في التجربة الإيرانية، والقوة النفطية الإسلامية في العالم العربي، والقوة النووية الإسلامية في باكستان. بيد أن التفاعل بين السياسة والنفط وآفاق البلوتونيوم لم تكن غائبة عن أقدار إيران في ظل الشاه. بيد أن نظام الشاه البهلوي قد حدث فيه اختلالات ثقافية، وتغريب اقتصادي وصناعي، وسخط عام ناشئ من الدكتاتورية والاستبداد. وساد تمرد على العالم الخارجي وسيطرته على إيران وتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن

كان هناك موروث الشهادة الكربلائية في الإسلام الشيعي، وكذلك موروث القيادة المؤبدة للإمام في الفقه الشيعي؛ مما أدى إلى فعل ثوري تجاه الشاه. وظهرت حالة من الإحياء الإسلامي ارتبط بعاملين: عامل القلق من ريادة الغرب المسيحي للتقانة، ومن انبعاث للثقة نجم من امتلاك النفط. وأصبحت منظمة «الأوبك» عاملاً قويًّا في الاقتصاد العالمي، وهي منظمة أغلب أعضائها من الدول الإسلامية.

أما **الفصل الثالث عشر** بعنوان «**العالم الثالث والإرهاب الدولي**»، فقد تناول ما يثير مخاوف العالم من الحرب النووية، ويذكر أمثلة للحروب التقليدية التي اندلعت على مستوى العالم منذ الحرب العالمية الثانية، وبعض الحروب الأهلية، ونوعًا ثالثًا من الحرب وهي الحركات المسلحة الفدائية والإرهابية، وأيضًا الحروب الثورية ضد النخب الفاسدة.

يذهب مزروعي إلى أن إرهاب الدولة أشد في تبعاته من الإرهاب الثوري، ويذكر في هذا السياق كيف انتقمت إسرائيل من الإرهابيين الفلسطينيين، بإرسال جيش قوامه عشرون ألف جندي إلى لبنان للبحث عن قواعد فلسطينية. وكيف فجرت فرنسا سيارة في لبنان راح ضحيتها مئة وعشرة قتلى إثر مقتل سفيرها هناك. وأورد أحداثًا أخرى مؤرخة تظهر فداحة إرهاب الدولة في عدد الضحايا مقارنة بإرهاب الأفراد الثوريين. ورغم أن هذه الأمثلة كانت من منطقة الشرق الأوسط فإن الكاتب ينفي عن الإسلام السني والشيعي هذه التهمة ويلخصها "القوة الإرهابية الثورية الرئيسية في الشرق الأوسط هي منظمة التحرير الفلسطينية".

في **الفصل الرابع عشر** والأخير في هذا الكتاب، ثمة حديث عن الحركة المناهضة للاستعمار، التي في سعيها للحصول على سيادة تبدو كمن يطرق باب العالم الموصد لتطلب إذنًا بالدخول. هكذا راحت المجتمعات الآسيوية والإفريقية واحدة تلو الأخرى تطالب بالدخول إلى منظومة الدول القومية، ولذلك تبنت هذه الدول أدوات الدبلوماسية الغربية: من بروتوكولات، وسفراء موزعين بأدوار مختلفة والتزام بالقانون الدولي، وغير ذلك. هناك شخصيات بارزة في تاريخ العالم الثالث كانوا أبطالاً في الدخول إلى النظام العالمي (مثل نهرو وعبد الناصر ونكروما وسوكارنو).

بما أن النظام العالمي المهيمن نظام رأسمالي، وبما أن الماركسية مناوئة للرأسمالية، فيبدو أن اعتناق الماركسية كناية عن الإشعار برغبة في الحصول على تأشيرة خروج من النظام العالمي القائم. وهنا يقدم المؤلف أسبابًا على ألسنة بعض المفكرين والسياسيين أن القدرة الثورية هي قيمة غربية. ثم يقدم نقاشًا يتعلق بإمكانية تحول الاشتراكية البدائية إلى اشتراكية ثورية دون الثورة على الإطلاق. ليست جميع أشكال الاشتراكية ثمرة للثقافة الغربية. وليست جميع أشكال الثورة ثمرة للثقافة الغربية؛ فمولد الإسلام في القرن السابع أحدث ثورة مهمة لشعب جزيرة العرب، ولم تكن لهذه الثورة علاقة كبيرة بالحضارة الغربية، بل على العكس من ذلك، أثرت الثورة الإسلامية تأثيرًا كبيرًا على المسار المستقبلي للحضارة والتاريخ الغربيين.

إن الخروج الكامل من النظام العالمي أمر محال وغير مرغوب؛ لأنه يعد انتحارًا بالنسبة للعالم الثالث. ولكي يحدث توازن لابد للنصف الجنوبي أن يدخل دخولاً انتقائيًا؛ لأنه ينبغي أن يكون تجديد بنية وتحرر، وإعادة بناء العلاقات بين الشمال والجنوب. يحتكر الشمال التقانة، ويظهر ذلك في المجال النووي، فكأن الرؤساء الأمريكان وضعوا على بوابة المعرفة النووية لافتة تقول: «ممنوع الدخول». ولا تحتاج العديد من الدول الغربية الحصول على القدرات النووية بما أنها موجودة تحت المظلة النووية الأمريكية؛ لذلك فإن السعي إلى القوة النووية بالمعنى العسكري عامل يحث على الراديكالية. وقد تكون الدول التي تملك القدرة النووية أكثر إدراكًا لما تتضمنه الحرب النووية. كذلك تمتلك الدول النووية نوعًا من مؤهلات الدخول إلى المؤسسة العسكرية العالمية. وهنا يقترح المؤلف حلاً للحد من الانتشار النووي عن طريق تغيير سوسيولوجيا الحرب بمشاركة المرأة الرجل في الآلة الحربية؛ أملاً في التغيير والترويض. وأيضًا عن طريق دخول العالم الثالث إلى هذا المضمار بغرض إحداث صدمة ثقافية.

وفي خاتمة الكتاب تساءل المؤلف: عندما تواجهت القوى السياسية الغربية والسوفيتية، وعسكرت خصوماتها إلى مستويات أعلى من القدرة التدميرية، هل كان في هذه الحالة حلف يهودي- مسيحي غربي يسلح نفسه ضد معسكر سوفيتي يهودي-ماركسي، أم إنها كانت حضارتان شقيقتان في صدام لا داعي له.

تنبأ مزروعي بوصول رئيس سوفيتي مسلم ورئيس أسود للولايات المتحدة وذلك لتراجع العنصرية فيها منذ الحرب العالمية الثانية، ولصعود السود أبواب السياسية، ولتحقيق الأفارقة نجاحات على مستوى المحافظين في بعض المدن. وفيما يتعلق بالمهارات التقانية تنبأ المؤلف بأن الأمريكان والأفارقة والجنوب إفريقيين السود سوف يصبحون في طليعة العالم في القرن الحادي والعشرين، آملاً أن تكون جنوب إفريقيا تحت حكم السود نموذجًا يابانيًا في إفريقيا.

وفي ختام هذا العرض، فإن الكتاب وفّى تفسير المصطلحات وشرحها، في عرض للأفكار تميز بالترتيب والدقة، إضافة إلى تنبؤ مؤلفه بأحداث تحقق كثير منها، كصعود رئيس أسود لأمريكا، وصعود الصين تقانيًا، وبروز دول النفط على الساحة وغير ذلك. بيد أن المؤلف قد طغت إفريقيته على إسلاميته، فقد جرفته الحضارة الغربية بعيدًا عن ينابيع القرآن الكريم والسنة النبوية، كما أنه غير منحاز للقضية الفلسطينية وغير متعاطف معها تعاطفه مع الأفارقة والسود وجنوب إفريقيا. لكن سيفودين آدم يذهب إلى أنه إذا كان مزروعي متحدثًا عن أيديولوجيا العالم الجنوبي في النصف الأول من حياته المهنية، مع التركيز بشكل خاص على إفريقيا؛ فإنه تحول للزود عن أيديولوجيا الإسلام في النصف الثاني من حياته المهنية، حيث وصلت حساسيته الإسلامية إلى مستوى عالٍ في العقد الأخير، وذلك بعد غزو أمريكا واحتلالها دولتين مسلمتين هما العراق وأفغانستان. وقد أثار موقفه بشأن هذه القضية انتقادات حادة، خاصة وأنه عرضها بشكل أكثر تنظيمًا في كتاب له بعنوان **الإسلام: بين مكافحة الإرهاب والعولمة** الصادر عام ٢٠٠٥[٧].

[i] Adem, S. "Introduction." *African Studies Review*, vol. 57 no. 1, 2014, pp. 131-133.

[ii] Mazrui, A. & Mutunga, W.: *Debating the African condition: Ali Mazrui and his critics*, Africa World Press. 2004

[iii] Adjei, Paul Banahene. "Mazrui and His Critics." *American Journal of Islamic Social Sciences* .p.90.

[iv] حمدي عبد الرحمن حسن، رؤية وحدوية مغايرة للعرب والأفارقة: (أفرابيا علي مزروعي)، مجلة **المستقبل العربي**، العدد ٤٥٣، نوفمبر، ٢٠١٦، ص٧، ١٠.

[v] Adem, S. Ibid.